المقدمة

لقد اهتمت معظم الدراسات التي بحثت أحوال القوى الإسلامية إبان الغزو الصليبي للعالم الإسلامي، بالتركيز على إطارين من الدراسة: الإطار الأول خاص بأحوال القوى الإسلامية الكبرى المتمثلة في الخلافة العباسية و الخلافة الفاطمية، أما الإطار الثاني فقد اهتم بدراسة القوى المحلية في بلاد الشام - وهى مقصد الغزوة الصليبية – مغفلة وجود قوى إسلامية صغيرة خارج هذا النطاق، في منطقة ليست بعيدة عن بلاد الشام، وهى بلاد العراق، نمت بصورة طفيلية على حساب القوى الإسلامية الكبرى محدثة حالة من عدم الاستقرار لهذه القوى؛ الأمر الذي جعلها غير قادرة على التفرغ لصد غارات الصليبيين المعتدين.

ومن بين القوى الصغيرة التي أرقت مضجع الخلافة العباسية، إمارة بني مَزْيَد (٤٠٣ – ٥٤٥ هـ / ١٠١٢ – ١١٥٠ م) التي لم يكن ظهورها سوى نتيجة مباشرة لضعف الخلافة العباسية، وانشغال المتغلبين عليها بمصالحهم الشخصية وصراعاتهم على الملك،بويهين كانوا أم سلاجقة. وبدلاً من أن تكون الإمارة عوناً للقوى الكبرى للتصدي للخطر الداهم الذي اجتاح بلاد الشام في نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، استغلت الصراعات على كرسي السلطنة السلجوقية، وكرست جهودها لتثبيت استقلالها بغض النظر عن المصالح الإسلامية الكبرى.

ومن هنا جاء اهتمامي بدراسة إمارة بني مزيد سياسياً وحضارياً؛ لعلني ألقى الضوء على بعض الأسباب وراء محدودية رد فعل الخلافة العباسية وسلطنة السلاجقة على الغزوة الصليبية في مراحلها الأولي. كما كان من دوافعي إلي هذا البحث إبراز أهمية دراسة الكيانات المحلية الصغيرة ودورها في التأثير علي مصائر الأمة بأثرها، بجانب إبراز دور التفتت السياسي في ضياع أجزاء عزيزة من الأرض العربية ثم العجز عن استرداد هذه الأجزاء بسبب انشغال القوي الكبرى بالصراع مع القوي الصغرى تاركين أعداء الأمة يعيثون في جسدها ومقدساتها فساداً. كما كان من دوافعي لدراسة هذه الإمارة مذهبها الشيعي، وهو مذهب يخالف مذهب الخلافة العباسية السني، فكيف سمحت الخلافة السنية بقيام إمارة شيعية في كنفها قريباً من

مركزها في بغداد، في وقت تنامي فيه خطر الدعاة الفاطميين، وما يمكن أن يشكل من خطر على مستقبل الخلافة العباسية؟

علاوة علي ذلك الطابع البدوي الذي تغلب على الإمارة طوال سني وجودها، وكان من المفروض مع المدة الطويلة التي وجدت فيها الإمارة التي تقارب القرن ونصف القرن، أن تنتقل من طور البداوة إلى طور التحضر في ظل توغلها في عمق العراق الحضري، وسيطرتها على مساحة واسعة وهي في أوج قوتها من تكريت شمالاً حتى رأس الخليج الفارسي جنوباً - بشكل غير متصل - وهو ما كان يساعدها على سرعة التحضر، لكن ذلك لم يحدث.

كما أن الدراسات السابقة قد اتسمت بالشمولية واستعراض تاريخ مدينة الحلة العام منذ بنائها حتى العصر الحديث ككتاب " تاريخ الحلة " للشيخ كركوش الحلي، أو المبالغة في تضخيم دور الإمارة و الخلط بين نظم بني مزيد ونظم الخلافة العباسية مثل "الإمارة المزيدية" للباحث العراقي الدكتور عبد الجبار ناجي. وبالتالي وجدنا أن الموضوع مازال يحتاج إلي أبحاث عديدة للوقوف علي كثير من القضايا والنقاط التي لم تأخذ حقها في الدراسة بعد،خاصة دور الإمارة في التأثير علي مجريات الأحداث في ظل وجود العدو الصليبي.

وقد فضلت إدراج اسم عاصمة الإمارة في العنوان فصار (إمارة بني مزيد أمراء الحلة)؛ ذلك أنه كان لمدينة الحلة دوراً مهماً في تاريخ الإمارة، بخاصة أن لفظ الحلة لم يدل دائماً على مدينة الحلة التي بنيت غرب نهر الفرات عام (٤٩٥ هـ / ١١٠١ م)، بل إن الحلة كانت أيضاً اسماً لمضارب خيام بني مزيد قبل بنائها كمدينة مستقرة، كما أن بنائها كان علامة على جهود الأمير صدقة رابع أمراء بني مزيد على الانتقال بإمارته من طور البداوة إلى طور الحضارة، وهى تجربة أُجهضت في صراعه مع السلطان محمد بن ملكشاة، كما أن بنائها جاء فاصلاً بين مرحلتين من تاريخ الإمارة: المرحلة الأولى هي الإمارة ذات المساحة المحدودة، تلك الإمارة الحاجزة التي تحمى سواد جنوب العراق، والمرحلة الثانية تتمثل في اتجاه الأمير صدقة إلى التوسع بإمارته حتى سيطر علي هلالٍ كبيرٍ امتد بين تكريت شمالاً ورأس الخليج الفارسي

جنوباً.

وقد تكونت هذه الدراسة من مقدمة وخاتمة و أربعة فصول مذيلة بقائمة للمصادر والمراجع التي استقيت منها مادة البحث: أما الفصل الأول ويحمل عنوان "إمارة بني مزيد الإطار المكاني والزماني" فيتحدث عن بني مزيد وقيام إمارتهم، عالجت فيه جغرافية منطقة جنوب الفرات التي تركزت فيها قوة الإمارة، ثم عالجت الظروف التي أحاطت بقيام الإمارة، وتضمن نسب بني مزيد وظروف اعتناقهم للمذهب الشيعي الإمامي، ثم قيام الإمارة، تلاه دراسة أهم القوي التي أحاطت بالإمارة وأتبعناها بتوسع الإمارة وأدواره من تمدد وانكماش حتى نهاية عهدها، ثم تعرضت لتمصير مدينة الحلة وظروف نشأتها ومدى مطابقتها لشروط بناء المدن لدى المصادر العربية، مع دراسة لخططها، ثم نقد لآراء الدكتور جورج مقدسي حول تاريخ وبناء مدينة الحلة وموضعها. وختمت الفصل بدراسة الوضع القانوني للإمارة، من حيث التغلب والاستيلاء وعلاقتها بنظام الإقطاع الحربي السلجوقي.

أما الفصل الثاني فيحمل عنوان " العلاقات السياسية لإمارة بني مزيد " فقد تضمن دراسة علاقات الإمارة مع المتغلبين على الخلافة العباسية، والتي تأثرت كثيراً بعلاقات الإمارة بالمتغلبين على الخلافة بويهيين كانوا أم سلاجقة، ثم تناولت علاقة الإمارة ببني بويه مستعرضاً الصراع بين الطرفين حتى اضطر البويهيون إلى الإذعان والاعتراف بالأمر الواقع بوجود الإمارة والاتجاه نحو الاستفادة منها بدلاً من الدخول معها في صراع. أعقب ذلك الحديث عن ثورة البساسيرى ودور بني مزيد فيها، خاصة أن هذه الثورة فتحت باب الاتصال المباشر بين الخلافة الفاطمية و دبيس بن على – ثاني أمراء بني مزيد – بواسطة الداعي الفاطمي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي، ثم انتقل الحديث إلى علاقة الإمارة بالسلاجقة ومدى مرونة حكام الإمارة الذين احتالوا لأنفسهم حتى خرجوا من الهجمة السلجوقية سالمين، وما أعقب ذلك من توسعهم في عهد صدقة الأول مستغلين فرصة الصراع بين سلاطين السلاجقة. ثم تناولت علاقة بني مزيد بالقوى والقبائل العربية القاطنة في جنوب العراق، و قد ختمنا بها الفصل.

أما الفصل الثالث فيحمل عنوان " أفول نجم إمارة بني مزيد" وشمل دراسة الأسباب التي أودت بالإمارة وساعدت على زوالها من الوجود السياسي في العراق، وتضمن الحديث عن الصراع بين دبيس بن صدقة والخلافة العباسية في وقت سعى فيه الخليفة المسترشد بالله (٥١٢ ـ ٥٢٩ هـ / ١٠٩٤ – ١١٣٤ م) إلى استعادة مجد الخلافة العسكري ونفوذها السياسي، فركزت جهودها على إمارة بني مزيد واتخاذها حقلاً لاختبار قوتها، وعمدت إلي تحجيم إمارة بني مزيد بدلاً من توجيه جهودها نحو صدور أعداء المسلمين من الصليبيين، ثم تناولت دراسة الصراع الذي دار بين الأمير دبيس بن صدقة وسلطنة السلاجقة بسبب مساعي دبيس إلى استعادة نفوذ والده من جديد باستغلال الصراعات بين سلاطين السلاجقة، ذلك الصراع الذي أودى به في النهاية وترك الإمارة تنازع سكرات الموت. كذلك تضمن الفصل الاتصال المباشر بين بني مزيد والصليبيين الذي تمخض عن التحالف بين الطرفين وما نتج عنة من حصار مدينة حلب، وإن كان هذا التحالف قد فشل في تحقيق أهدافه فقد ترك أثراً عميقا على جسد الإمارة، جعلها في مصاف المتحالفين مع الصليبيين – أعداء المسلمين – مما أفسح المجال لكتاب ومؤرخي السنة للطعن في بني مزيد ومذهبهم؛ مما أضعف شعبيتهم في الأوساط القبلية العربية، ثم امتد الحديث إلى استنزاف موارد الإمارة نتيجة استغلال الأراتقة والأتابك زنكى لهم، وهو ما كان له دور فعال في ضعف الإمارة ومحدودية فعاليتها. وختمت الفصل بالانهيار النهائي للإمارة نتيجة العوامل السابقة.

أما الفصل الرابع و الأخير، فقد خصص لبحث " نظم إمارة بني مزيد واقتصادياتها وأحوالها الاجتماعية والثقافية " بحثت فيه النظام السياسي للإمارة وكيفية إدارتها، وكذا جيش الإمارة وتكوينه ومهامه وأسلحته وتعداده، ثم انتقل الحديث إلى البحث في الأحوال الاقتصادية للإمارة بحث فيه مصادر ثروة الإمارة ومواردها المالية من الزراعة والصناعة والتجارة، أعقب ذلك دراسة الأحوال الاجتماعية للإمارة وشمل الحديث عن عناصر السكان وطبقاتهم وأخلاقهم ووضع المرأة. وختم الفصل ببحث عن الأحوال الثقافية للإمارة بشقيها الأدبي والعلمي تضمن أشهر

الشعراء والعلماء في الإمارة وكذا نوع الحركة العلمية وتأثيرها.

دراسة لأهم المصادر و المراجع العربية و غير العربية:

وقد اعتمدت في دراستي لإمارة بني مزيد على عدد من المصادر والمراجع العربية و غير العربية كان من أهمها " الكامل في التاريخ " لعلى بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير المولود عام (٥٥٥هـ / ١١٦٠ م) والمتوفى (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)[١] وتعد هذه الحولية من أهم المصادر التي قدمت مادة وفيرة عن بني مزيد، حتى أن معظم المصادر التي جاءت بعده قد عولت عليه في أخبار بني مزيد، وقد زاد من أهميته قرب ميلاد ابن الأثير من نهاية الإمارة، مما جعل أخبار بني مزيد ماثلة للعيان في شباب ابن الأثير، كذلك إطلاعه على عدد من المصادر التي لم تصل إلينا .

ولم يكن ابن الأثير مجرد راوية لما دون من أحداث، بل كان ناقداً خبيراً مطبقا لما خطط في مقدمة الكتاب حين قال :" ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي، ولا كمن يجمع الحصباء والآلي "[٢] ويتضح ذلك في كثير من رواياته، ولعل أوضحها نقده لمدعى اعتناق بني مزيد لمذهب الباطنية، قائلاً في الجزء العاشر في أحداث (٥٠١ هـ /١١٠٧ م):" كذب و إنما مذهبهم التشيع لا غير "[٣].

وقد استفدت من عمل آخر لابن الأثير ألا وهو " التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية " وهو كتاب اهتم بتاريخ أتابكة الجزيرة، وقد تعرض لعلاقة دبيس بن صدقة بعماد الدين زنكى وصراعهما مع الخليفة المسترشد بالله.

ولا يقل كتاب " المنتظم في تاريخ الملوك والأمم " لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى أهمية عن كتاب " الكامل في التاريخ "؛ ذلك أن ابن الجوزى ولد عام (٥١٠ هـ / ١١١٦م) وتوفي عام (٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م)[٤] و بالتالي فقد عاصر بني مزيد في صباه وشبابه، وكتابه بصفة عامه موسوعة لتاريخ الإسلام حتى عصره، مركزاً على العراق باعتبارها مركزاً للخلافة العباسية، ورتب الأحداث التاريخية موزعة على

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٦، مقدمة الكتاب ص ٩، ١. .

(٢) نفسه، ج ١، ص ١١.

(٣) نفسه، ج ١.، ص ٤٤..

(٤) ابن الجوزى: المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، ج ١، حيدر أباد، ١٣٥٩ هـ، المقدمة، ص ١٤.

السنوات حسب ترتيب وقوعها، مشفوعة في نهاية كل عام بأشهر من توفي فيه، ورغم ضآلة ما روى عن بني مزيد إذا ما قورن بابن الأثير، إلا أنها معلومات عالية الإسناد، نتيجة نقله كثير من الأحداث عن شهود عيان، وقد انفرد بالعديد من الأخبار الخاصة بالإمارة، مثل بعض الأخبار التي تتحدث عن تاريخ بني مزيد المبكر [١]، كما قدم لنا بعض التفاصيل عن بناء مدينة الحلة، ونتف من خططها، وإلى حد كبير هناك تطابق بين روايات ابن الأثير ورواية ابن الجوزي، وهو ما يؤكد أن ابن الجوزي كان من مصادر ابن الأثير.

ومن أهم المصادر التي استفدت منها كتاب " بغية الطلب من تاريخ حلب " للصاحب كمال الدين بن العديم، وهو كتاب شامل جامع لتاريخ ملوك حلب وأخبارهم[٢] وأهمية هذا الكتاب نابعة مما حواه من مادة تاريخية نقلها عن وثائق وسجلات لم تصل إلينا، كما حصل على مادة ضافية نقلها عن شهود عيان، يضاف إلى ذلك مشاركته الفعالة في الحياة السياسية، والعلمية في حلب مما جعله شاهد عيان لكثيرٍ مما راوه [٣]، وقد قدم الكتاب مادة علمية مهمة في ترجمته لدبيس بن صدقة، كما قدم لنا سلسلة لنسب بني مزيد بروايتين عن ثقات، كما أفاض في أخبار حصار الصليبيين لحلب، عام (٥١٨ هـ / ١١٢٤ م) الذي شارك فيه دبيس بن صدقة، وهي معلومات ذات أهمية كبيرة نقل معظمها عن جده لأبيه الذي كان شاهد عيان لهذه الحادثة، كما عرض لجوانب من تاريخ الإمارة، وأسباب فرار دبيس بن صدقة من العراق، كما ذكر عدد ممن اتصل بدبيس بن صدقة من الشعراء و هو ما أفاد كثيراً في الحديث عن الحياة الأدبية في إمارة بني مزيد [٤]. و لابن العديم كتاب آخر هو "زبدة الحلب من تاريخ حلب" وهو مختصر مرتب على السنين مستخرج من " بغية الطلب

---

(١) نفسه، ج ٩، ص ٢٣٥.

(٢) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ١، تحقيق سهيل ذكار، دمشق، ١٩٨٥، مقدمة المحقق، ص ٥.

(٣) نفسه، ص ١١.

(٤) نفسه، ج ٧، ص ص ٣٤٧٨ – ٣٤٩٢.

" وقد نقل معظم ما ورد في " بغية الطلب " لكن بشكل أكثر ترتيباً وتسلسلاً[١].

ومن المصادر المهمة كتاب " تاريخ دولة آل سلجوق " لمؤلفه محمد بن حامد الأصفهاني، وقد قدم لنا معلومات قيمة عن علاقة بني مزيد بالسلاجقة خاصة ذكر كيفية عودة دبيس بن صدقة إلى الإمارة بعد أن ظل عشر سنوات محتجزاً في بغداد[٢].

أما ابن خلدون فقد قدم لنا تاريخاً مختصراً مجملاً لبنى مزيد ضمن حديثه عن القوى المتغلبة على الخلافة العباسية وهى في مجملها منقولة عن ابن الأثير، وذلك ضمن الجزء الرابع من كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر" كما أستفدت من مقدمته في التعرف على كثير من النظم القبيلة وظروف نشأة الدول و تكوينها وكذلك رسوم دار الخلافة[٣].

أما أبو شجاع محمد بن الحسين الروذراورى المتوفى عام (٤٤٨ هـ /١٠٣١م) صاحب كتاب " ذيل تجارب الأمم " فقد قدم لنا معلومات قليلة عن بني مزيد لكنها ذات قيمة عالية نظراً لانفراده بذكرها، كما قدم تاريخاً مفصلاً لبنى بويه في الفترة الممتدة بين عامي (٣٦٩-٣٨٩هـ/٩٧٩-٩٩٨ م) وهو ما ساعدنا على فهم كثير من تصرفات البويهيين التي أثرت على بني مزيد.

وقد قدم لنا شمس الدين الذهبي عدة مؤلفات منها " العبر في خبر من غبر " و " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام " وكذلك " سير أعلام النبلاء ورغم تعدد هذه الكتابات إلا أن ما أوردته من معلومات متشابهة مقتضبة عن بني مزيد في مجملها تشبه ما ورد لدى ابن الأثير في الكامل.

أما سبط بن الجوزى فهو " العلامة شمس الدين أبى المظفر يوسف قزوغلى التركي " المتوفى عام (٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦م) فهو من أحفاد أبى الفرج بن الجوزى صاحب المنتظم، و قد ترك لنا سبط بن الجوزى كتاب " مرآة الزمان "، وهو

---

(١) ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج ١، تحقيق د.سامي الدهان، مقدمة المحقق، ص ٥٨.

(٢) الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق، دار الأفق، بيروت، ١٩٨.، ص ١١٥.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، دار بن خلدون، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص ص ١٥٣ – ٤٥٣.

موسوعة تاريخية استفدت من الجزء الثامن من القسم الأول، الذي نشرته دائرة المعارف العثمانية في حيدر أباد في الهند، ورغم رواياته القليلة عن بني مزيد يتضح مدى تأثره بجده ابن الجوزى إلى حد كبير مثل روايته عن مصرع الأمير صدقة الأول [١]. أما الجزأين اللذين حققهما الدكتور مسفر الغامدي فقد انفرد فيهما سبط ابن الجوزي بذكر رفض دبيس معاونة جكرمش والي الموصل في جهاد الصليبيين تنفيذاً لأمر السلطان محمد بن ملكشاه [٢] مما أكد خيانة الأمير " صدقة الأول بن منصور " للقضية الإسلامية.

كما كان " الفخري في الآداب السلطانية " لمحمد بن على بن طباطبا المشهور بابن الطقطقا من المراجع المهمة في أخبار الخلفاء العباسيين وتقلب الدهر بهم، وقد أشاد بدبيس بن صدقة رغم ما بدر منه من الإساءة إلى الخلافة والتحالف مع الصليبيين ضد المسلمين، وربما يرجع ذلك إلى موافقة دبيس بن صدقة لابن الطقطقا في التشيع.

أما ابن القلانسي " أبى يعلى حمزة " المتوفى (٥٥٥هـ/١١٦٠م) صاحب "ذيل تاريخ دمشق" فقد أورد لنا أخباراً متفرقة عن بني مزيد، ورغم أنها في معظمها موجزة، لكنه قدم تفصيلاً مطولاً لحادث مصرع الأمير صدقة بن منصور في معركة النعمانية [٣]، وإلى حد كبير تتشابه روايته مع ما روى ابن الأثير، ومن الواضح أن ابن القلانسى كان من المصادر التي استقى منها ابن الأثير مادته عن بني مزيد.

وقدم لي ابن كثير (أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي) المتوفى (٧٧٤ هـ/١٣٧٢م) كثير من الأخبار الموجزة عن بني مزيد في موسوعته التاريخية الشاملة لتاريخ الإسلام المسماة "البداية والنهاية " وهي في مجملها منقولة عن ابن الأثير لكنه اختلف في حكمه على الأمير صدقة بن منصور عن ابن الأثير وأكد اعتناق دبيس بن

---

(١) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، القسم الأول، دائرة المعارف العثمانية، حيدر باد الدكن، ١٩٥١، ص١٨.

(٢) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٢، تحقيق د.مسفر الغامدي، جامعة أم القري، مكة المكرمة، ١٩٨٧.

(٣) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩.٨، ص ١٥٩.

صدقة لمذهب الباطنية[١] وهو ما نفاه ابن الأثير بشدة.

وكما كانت " سيرة المؤيد " للمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي المتوفى (٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م) من أهم المصادر التي اعتمدت عليها في أخبار ثورة البساسيرى ضد الخلافة العباسية التي ضرب فيها بسهم وافر، مما أدى إلى حصوله على الخلع والألقاب الفاطمية، وقد انفرد بذكر نص العهد المرسل من الخليفة الفاطمي لدبيس بن مزيد حين وافق على مساندة البساسيرى في ثورته، كما ظهر بوضوح في " سيرة المؤيد " مدى رفض دبيس لحق الفاطميين في الخلافة، وأن دبيس لم يشارك في هذه الحركة إلا جرياً وراء مصالحه الخاصة و الطمع في الألقاب والخلع الفاطمية [٢].

وقد استفدت من كتاب " الملل و النحل " للشهرستانى (أبو الفتح محمد ابن عبد الكريم) المتوفى عام (٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) وهو كتاب قيم رغم صغره؛ إذ عرض لملل ونحل ومذاهب الديانات السماوية وغير السماوية، دون تعصب لأي مذهب أو نحلة، فقد اكتفي بتقديم الصورة جلية واضحة دون إظهار تأييده أو معارضته لأي منها، و قد قدم لي مادة أفادتني في التعرف على المذاهب الإسلامية، خاصة مذهب الإمامية الاثنى عشرية الذي دان به بنو مزيد[٣].

ومن المصادر الصليبية المترجمة استفدت من كتاب الحروب الصليبية للمؤرخ الصليبي (وليم الصوري) وهو ترجمة الدكتور حسن حبشي للكتاب الذي يحمل اسم A HISTORY OF DEEDS DONE BEYOND THE SEAوهو في أربعة أجزاء عالجت الفترة الممتدة بين عامي (٤٨٧ – ٥٨٠ هـ / ١٠٩٤ – ١١٨٤ م) أي منذ بداية الهجمة الصليبية حتى ظهور صلاح الدين الأيوبي، و قد أسهم في إلقاء الضوء على علاقة دبيس بن صدقة بالصليبيين.

أما الشيخ الرئيس " أبو البقاء هبة الله بن نما الحلى "[٤] المنتمى إلى عائلة "آل

---

(١) ابن كثير: البداية و النهاية، ج ٦، دار الغد العربي، القاهرة، ١٩٩.، ص ٦٤٢ .

(٢) المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي: سيرة المؤيد، تحقيق محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، القاهرة، ١٩٤٩، ص ١٢٧.

(٣) الشهرستانى: الملل و النحل، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٣٦.

(٤) ينتمي إلي عائلة نما الحلية وهي من العائلات الكبيرة في الحلة التي اشتهرت بالعلم والتشيع، عاش في

نما" الحلية الشهيرة التي اشتهرت بالعلم والتشيع، فقد عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وألف كثير من الكتب فقدت جميعاً عدا كتاب " المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية " ورغم أن اسم الكتاب يوحى بارتباطه بأمراء بني مزيد وبتأريخه لهم، إلا أن الكتاب في جملته يدور حول تاريخ العرب قبل الإسلام، خاصة حكام الحيرة من المناذرة[١]، ويبدو أن الكاتب قد ألفة في عهد صدقة الأول أعظم حكام بني مزيد، لذلك سعى إلى نيل جائزة من الأمير صدقة، فقام بحشر بعض المناقب عنه في صفحات معدودة. أو ربما فقد أجزاء من الكتاب كان بها كثير من التفاصيل عن بني مزيد، ومن الغريب في هذا الكتاب ما قام به المؤلف من الثناء على الخلفاء العباسيين وسلاطين السلاجقة، رغم أن المؤلف من علماء الشيعة الإمامية، ونلاحظ ذلك في عدة مواضع مثل ذكره للخليفة المقتفي (٥٣٠. - ٥٥٥ هـ/ ١١٣٥ – ١١٦٠. م) قائلاً " أمير المؤمنين المقتفي – غفر الله له –"[٢] وحين ذكر السلطان ملكشاة يقول " السلطان السعيد، جلال الدولة، أبا الفتح ملكشاة بن ألب أرسلان – رضي الله عنه – "[٣] وهذا الأمر يوحى لنا بعدم إخلاص أبى البقاء للمذهب الشيعي رغم أنه من شيوخه أو أنه فعل ذلك تقية وخوفاً من بطش السلاجقة، و لعل ذلك يوحي لنا أن اختفاء كتبه جاء بفعل متعمد من قبل إحدى فرق الشيعة المتعصبة.

ومن أهم المصادر الجغرافية التي اعتمدت عليها يأتي ياقوت الحموي وهو (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي) المولود عام (٥٧٥ هـ/ ١١٧٩م) والمتوفى في حلب (٦٢٦هـ/١٢٢٨ م)[٤]، فقد ألف عدداً كبيراً من الكتب منها "معجم البلدان" و "معجم الأدباء " و "معجم الشعراء" و " المشترك وضعاً والمفترق صقعاً " و لكن أهمها جميعاً هو "معجم البلدان" والذي رتب على حروف المعجم، وقد أفادني كثيراً

النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، والنصف الأول من القرن السادس الهجري، ألف كثير من الكتب فقدت جميعاً عدا " المناقب المزيدية " (أبي البقاء: المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، ج ١، تحقيق محمد الخريسات وآخر، مركز زايد للتراث، العين، ٢...، مقدمة المحقق، ص ١٤، ١٥).

(١) أبي البقاء: المناقب المزيدية، ج ٢، ص ٤٢٨.

(٢) نفسه، ج ٢، ص٤٢٧.

(٣) نفسه، ج ٢، ص ٤٢٦.

(٤) أحمد رمضان: الرحلة و الرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة، بدون تاريخ، ص ١٧٧، ١٧٨.

في التعريف ببلاد بني مزيد وتحركاتهم وطريقة حياتهم قبل بناء عاصمتهم الحلة واستقرارهم فيها. وقد ساعد "معجم البلدان" في التعرف على كثير من المواضع الجغرافية التي وردت في ثنايا البحث. رغم أهمية " معجم البلدان " إلا أن ياقوت يؤخذ عليه بعض الأخطاء التي سقطت منه سهواً دون أن يتنبه إليها و يصححها.

أما ابن بطوطة (شمس الدين بن عبد الله محمد بن عبد الله الطنجى) المولود في طنجة عام (٧٠٣ هـ / ١٣٠٤م) الذي يعد أعظم رحالة المسلمين وأوسعهم شهرة، حتى حمل لقب "شيخ الرحالين" [١]، فقد زار الحلة و وصف معالمها و انفرد عن جميع المصادر بذكر خبر مشهد صاحب الزمان بمدينة الحلة وهو بناء كان أهل الحلة ينتظرون أن يخرج منه إمامهم المنتظر [٢].

أما الرحالة الشهير ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني) المتوفى عام (٦١٤ هـ/ ١٢١٧م) والمولود في بلنسية بالأندلس عام (٥٠٤هـ/١١٤٥م) [٣]فقد قدم لنا وصفاً لمدينة الحلة، وما بها من آثار ترجـــع إلى عصر بني مزيد، كما وصف لنا الجسر الواصل بين ضفتي الفرات مقابل مدينة الحلة [٤].

ومما اعتمدتُ عليه الجغرافي ابن رستة (أبو على أحمد بن عمر) الذي يعد من كبار الجغرافيين المسلمين والذي ألف موسوعته المسماة " الأعلاق النفيسة " حوالي عام (٢٢٩هـ /٩٠٣م) وقد أفادني في التعرف على كثير من المواضع الجغرافية في جنوب العراق، وكذلك سهراب صاحب كتاب " عجائب الأقاليم السبعة " فهو من المصادر الجغرافية الهامة التي ساعدتني في التعرف على كثير من أوصاف جنوب العراق الجغرافية.

أما (أبو الفدا إسماعيل بن على بن محمد بن شاهنشاه الأيوبي) المتوفى عام (٧٣٢هـ / ١٣٣١م) فقد ألف عدة كتب منها " تقويم البلدان " وهو من أفضل الكتب

---

(١) نفسه، ص ٣٨٦.

(٢) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤، ص ٢٢..

(٣) أحمد رمضان: الرحلة، ص ٣٢٣.

(٤) رحلة بن جبير، ص ١٧٩.

الجغرافية العربية، في أسلوب التنظيم وسهولة الحصول منه على الأعلام الجغرافية وتعريفاتها وطريقة نطقها الصحيح وفي أي أقاليم الأرض يوجد، وهو في معظمة منقول عن " معجم البلدان " لياقوت الحموي، ومن أعمال أبو الفدا كتابة " المختصر في أخبار البشر " و هو يعتمد على "الكامل في التاريخ " لابن الأثير فيما يخص بني مزيد.

ولشمس الدين أبو عبد الله بن أبى بكر المشهور باسم " المقدسي البشارى " كتاب مهم و هو " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " وهو من أدق المصادر الجغرافية ومن أكثرها فائدة في التعرف على جغرافية العراق واقتصادها، وفي هامشه بعض المعلومات عن بني مزيد من الواضح أن مجهولاً دونها في فترة متأخرة، ورغم ما بها من مادة مفيدة في النواحي الاقتصادية إلا أن المادة التاريخية يجب أن تؤخذ بحذر لأن بها كثير من الأخطاء التاريخية.

أما الرحالة اليهودي بنيامين التطيلى وهو (الربى بنيامين بن يونا) المتوفى (٥٦٩هـ / ١١٧٣م) صاحب كتاب "رحلة بنيامين" الذي قام عزرا حداد بترجمته إلى العربية عام ١٩٤٥م. وقد زار بنيامين العراق في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وقد أفادني كثيراً في التعرف على اليهود الموجودين حول الحلة وأعدادهم وتوزيعهم ومقدساتهم[١].

وقد قدمت المصادر الأدبية كثير من المعلومات عن الحياة الأدبية في إمارة بني مزيد وفي ثناياها بعض المعلومات عن الحياة السياسية والاقتصادية في الإمارة مثل كتاب " خريدة القصر وجريدة العصر " للعماد الأصفهانى و "كتاب الصادح والباغم " لابن الهبارية، و "المحمدون من الشعراء" و " إخبار العلماء بأخبار الحكماء " لابن القفطى. وقد استفدت من اثنين من المصادر الأجنبية أولهما مصدر أرمني وهو CHRONIQUE DE MATTIE DE EDESSA للأرمني متى الرهاوى، فقد ألقى أضواء على مشاركة دبيس بن صدقة في حصار الصليبيين لحلب، كما استعنت بمصدر فارسى لمؤلف مجهول، ترجم إلى الإنجليزية باسم " HUDUD AL

---

(١) بنيامين التطيلى: رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، بغداد، ١٩٤٥، ص ص ١٤. – ١٤٣.

ALAM " ساعدني في التعرف على جوانب من جغرافية منطقة جنوب الفرات.

أما عن المراجع فهناك " تاريخ الحلة " للشيخ كركوش الحلى الذي استعرض التاريخ العام للحلة حتى العصر الحديث في جزأين الجزء الأول للتاريخ السياسي والجزء الثاني للحياة العلمية، واستعرض في الجزء الأول سرداً للتاريخ السياسي لبنى مزيد. أما الدراسة التي أعدها الباحث العراقي الدكتور عبد الجبار ناجي باسم "الإمارة المزيدية" فقد سردت مجمل لتاريخ بني مزيد السياسي وحاول التركيز علي النواحي الحضارية لكنه إلي حد كبير خلط بين النواحي الحضارية في الدولة العباسية و بين نظم بني مزيد، كما أغفل تفصيل حوادث هامة تركت ظلالاً خطيرة علي إمارة بني مزيد مثل ثورة أرسلان البساسيري التي لعب فيها بنو مزيد دوراً كبيراً، و دور دبيس بن صدقة في حصار الصليبيين لحلب عام (٥١٨هـ / ١١٢٤م) و ما تركته من ظلال قاتمة علي مستقبل الإمارة. كما سار وراء ما كتبه الغربيون مثل جورج مقدسي دون نقد و تدقيق، كما نظر إلي إمارة بني مزيد علي أنها ثورة عربية ربما تأثر بالجو الثوري العربي في الستينات في حين أنه لو دقق قليلا لاتفق معنا أنها كانت نكسة عربية وسبباً أساسياً في حالة عدم الاستقرار التي عاني منها العراق في النصف الأول من القرن السادس الهجري، مما ترك أثراً سلبياً علي دور السلاجقة في مقاومة الوجود الصليبي في بلاد الشام.

ومن المراجع الهامة كتاب " المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية " للأستاذ الدكتور أحمد رمضان أحمد، وقد ساعدني في عقد المقارنة بين إمارة بني مزيد والإمارات العربية في بلاد الشام، المعاصرة لها. كذلك كتاب " الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية " للأستاذ الدكتور حامد زيان، الذي ألقى بعض الأضواء على دور دبيس بن صدقة في تفتيت الجبهة الإسلامية في مطلع القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي. ومن المراجع الهامة كتاب " الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها " للدكتور محمد مرسى الشيخ، الذي ألقى الضوء حول دور صدقة بن منصور أعظم أمراء بني مزيد في محدودية رد فعل السلاجقة على الهجمة الصليبية في مراحلها الأولي.

ولا يقل أهمية عن المراجع السابقة كتاب " الحركة الصليبية " للأستاذ الدكتور سعيد عاشور، الذي تعرفت من خلاله لأول مرة على بني مزيد و موقفهم من حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين كذلك تحدث كتاب " إمارة الرها الصليبية " للأستاذة الدكتورة علية الجنزورى، عن علاقة دبيس بن صدقة بالصليبيين بشيء من التفصيل، أكدت فيه على خيانة دبيس بن صدقة للقضية الإسلامية.

وقد كان لكتاب" التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى " لآشتور، دور كبير في التعرف على دور بنى مزيد في انهيار اقتصاد العراق في القرنين الخامس والسادس الهجريين، مع رصد لمنحنى التراجع الاقتصادي في العصريين البويهى و السلجوقى. وقد استعنت بعدد من البحوث و الدراسات المنشورة في الدوريات مثل الدراسة التي أعدها الدكتور عبد المجيد أبو الفتوح عن العلاقات السياسية لبنى مزيد مع القوى المعاصرة لها. وإلى جانب هذا البحث استعنت بعدد من البحوث المنشورة في الدوريات العراقية مثل مجلة كلية الآداب جامعة البصرة ومجلة كلية الآداب جامعة الموصل.

كذلك استفدت من عدد من المراجع الأجنبية يأتي على رأسها المؤرخ الفرنسي GROUSSET"في كتابه HISTORE DE CROUSADES، أيضاً هناك كتاب هام هو ”THE MIDDLE EPHRATES“ للجغرافي ALOIS MUSIL بجانب عدد من البحوث الأجنبية خاصة البحث الذي أعده الدكتور جورج مقدسي GEORGE MAKDISIبعنوان NOTES ON HILLA AND MAZYDID IN MEDIVAL ISLAMو معظم هذه الكتابات نقلت عن مصادر عربية بجانب إبداء بعض الآراء التي احتاج البعض منها للنقد و التحقيق. كما رجعت إلى مواقع شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) و قد استفدت من مواقعها في الحصول على بعض التفصيلات عن الشيعة الإمامية ومدارسهم بجانب التعريف ببعض الأعلام.

وفي النهاية أتوجه إلي الله بالدعاء بأن يتغمد أستاذي الدكتور/ أحمد رمضان أحمد أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة عين شمس، لما أولانيه من رعاية و

توجيه حتى خرجت الرسالة علي هذه الصورة. كما أدعو بالرحمة والمغفرة للمرحوم الأستاذ الدكتور/ محمد عيسي صقر - أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية التربية جامعة عين شمس - الذي كبد نفسه عناء المشاركة في مناقشة هذه الرسالة، ولم يمنعه مرضه رحمه الله عن إتمام المناقشة في موعدها. وخالص شكري وتقديري للأستاذ الدكتور / فتحي عبد الفتاح أبو سيف - أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة عين شمس - الذي شارك في مناقشة وتقيم هذا العمل. كما أتوجه بخالص شكري وعرفاني بالجميل إلي أبي وأمي أطال الله عمرهما، وسائر الأسرة خاصة عمي العزيز الحاج حسني،كما أسال الله أن يتغمد الأستاذ الدكتور / صبري أبو الخير المدرس بكلية الآداب جامعة المنوفية برحمته لما عاونني فيه من توفير كثير من الكتب التي تعذر علي الوصول إليها ومراجعة المسودة الأولى للرسالة، كما أتقدم بالشكر إلي الأخ العزيز الدكتور حجازي عبد المنعم الأستاذ المساعد بكلية الآداب جامعة المنوفية، وكذلك الأستاذ محمد منصور إبراهيم بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، و كذلك الزميلين العزيزين دكتور سند أحمد سند، ودكتور محمد نصر عبد الرحمن الأستاذين المساعدين بكلية الآداب جامعة عين شمس، وأيضاً السادة العاملين بمكتبات كلية الآداب جامعة عين شمس، والمكتبة المركزية بجامعة عين شمس، ومكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة خاصة الأستاذ علاء جلال والأستاذ عماد عبده حنا، والعاملين بمكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة، ودار الكتب المصرية ومعهد الآباء الدومنيكان بالعباسية، ومعهد المخطوطات العربية، ومكتبة المصطفي بالدمرداش، ومكتبة البارودي بالعباسية ومكتبة بلدية الإسكندرية، وكل من عاونني في أتمام هذا البحث.

و الله من وراء القصد

د/ محمد فوزي مصري رحيل